

الحاكم الزاهد

ولما ولي عمر بن عبد العزيز ، زهد في الدنيا ، ورفض ما كان فيه ، وترك أن يخدم ، وترك ألوان الطعام ، وكان إذا صنع له طعامه هيء على شيء . وغطى ، حتى إذا دخل اجتنبه ، وأكله ، وإذا أراد الوضوء سكبته لنفسه ، وحدث بعض خاصة عمر أنه حين أفضت إليه الخلافة ، سمعوا في منزله بكاء عاليا ، فسألنا عنه ، فقالوا : « خير أمير المؤمنين امرأته بين أن تقيم في منزلها - وأعلمها أنه قد شغل عن النساء بما في عنقه - وبين أن تلحق بمنزل أبيها ، فبكت وبكى جوارها لباكها .

وكان عمر بن عبد العزيز قبل خلافته يذبل ثيابه ، ويسرف في عطره ، ويدخل في طيبه حمل القرفل ، ويهايب لحيته بالهتير ، ولما صار خليفة ترك ذلك ، وتبذل ، وقد روى « رباح بن عبيدة » وكان تاجرا من البصرة يعامل عمر بن عبد العزيز « أن عمر أمره أن يشتري له جبة خز ، فاشتراها بعشرة دنانير ، ولما أتاه بها مهما ، وقال : « إني لأستخشنها ، ولما ولي الخلافة أمره ، فاشترى له جبة صوف بدينار ، وأتاه بها ، فجعل يدخل يده فيها ، ويقول : « ما ألينها ، فعجب رباح ، وقال : « عجبا ، تستخشن الخنز أمس ، وتستلن الصوف اليوم ، فقال عمر : « تلك

حال ، وبهذه حال . . . !

ولم يرزق عمر نفسه شيئا من الفء (١) إلا عطاهه مع المسلمين ،
فدخل عليه ابن أبي زكريا ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنى
أريد أن أكلمك فى شيء ، فقد بلغنى أنك ترزق العامل من
عمالك ثلاثمائة دينار ، قال « نعم » ، قال « ولم ذلك ؟ » .
قال : أردت أن أغنيهم عن الخيانة . « قال ، فأنت أيا أمير
المؤمنين ، أولى بذلك .. فأخرج عمر ذراعه ، وقال : يا ابن
أبي زكريا إن هذا نبت من الفء ، ولست مصيدا إليه منه
شيئا أبدا .

وحدثت زوجته فاطمة بنت عبد الملك وقالت : استنهي عمر
ابن عبد العزيز يوما عسلا ، فلم يكن عندنا ، فوجهنا رجلا على
دابة من البريد إلى « بعلمك » فأتى بعسل ، وقلنا لعمر يوما :
« إنك ذكرت عسلا ، وعندنا عسل ، فهل لك فيه ؟ » قال : نعم .
فأتينا به ، فقرب ، ثم قال : « من أين لكم هذا العسل ؟ »
« فقلت « وجهنا رجلا على دابة من دواب البريد بدينارين
إلى بعلمك ، فاشتري بهما لنا عسلا » . قال عمر : أرسلوا
للرجل . فلما جاءه ، قال له : « انطلق بهذا العسل إلى السوق
تبعه ، فاردد إلينا رأس مالنا ، وانظر إلى الفضل ، واجعله

في بيت مال المسلمين ، علف دواب المسلمين . ووالله ، لو ينفع
المسلمين قيتي ، لتقيأت .

وأهدى إلى عمر بن العزيز تفاح وفاكة ، فردها ، وأرسل
لرافعها : « لا أعلم أنكم بعثتم إلى أحد من أهل عملي شيئاً ،
وإن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث لا تحب . ولما روجع
عمر ، إنك اشتبهت التفاح ، وهذا ابن عمك ورجل من أهل
بيتك أهدى لك تفاحاً ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، فقال عمر لمحدثه .

« ويحك إن الهدية كانت للنبي هدية ، وهي لنا اليوم رشوة »

وكان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح المسلمين من الفئ ،
فتناول ابن له صغير تفاحة ، فانزعها من فيه ، فأوجعه ، وسعى
الابن إلى أمه مستعبراً ، فأرسلت بدرهمين إلى السوق ، فاشتريت
له تفاحاً ، ولما رجع عمر ، وجد ربح التفاح ، فقال .
يا فاطمة . هل أتيت شيئاً من هذا الفئ ؟ قالت . . لا ، وقصت
عليه القصة . فقال « والله لقد انزعتها من ابني لئلا ينزعها
من قلبي ، لئلا أكره أن أضيع نفسي من الله عز وجل بتفاحة
من فئ المسلمين . .

وأنت عمر بن عبد العزيز سلنا رطب من الأردن ، فقال
« ما هذا ؟ قالوا : « رطب ، بعث به أمير الأردن » . قال

علام جيء به ؟ قالوا . على دواب البريد . قال . فما جعلني
الله أحق بدواب البريد من المسلمين ، أخرجوهما ، فبيعهوهما
واجعلوا ثمنهما في علف دواب البريد ، واشتراهما في السوق ابن
أخيه ، وقد بلغت أربعة عشر درهما ، وذهب بواحدة إلى أمير
المؤمنين وحبس لنفسه واحدة ، ولما أتى بها عمر بن العزيز ،
قال . ما هذا ؟ قال . اشتريتهما بمالي ، فبعثت لك واحدة ،
وحبست لنفسى الأخرى . فقال عمر . الآن طاب لي أكله .

ونزل عمر بن عبد العزيز ديرا ، فمرت به أطباق ، فقال
« ما هذه ؟ قيل له . صاحب الدير ، يطعم الناس ، فجاءه بطبق
فيه فستق ولوز و فقال عمر . تلك الأطباق مثل هذا ؟ قال
لا . قال . خذ طعامك .

وكان عمر يصلي العتمة ، ثم يدخل على بناته . فيسلم عليهن
فدخل عليهن ذات ليلة ، فلما أحسسنه ، وضعن أيديهن على أفواههن
ثم تبادرن الباب ، فقال للحاضنة . ما شأنهن ؟ قالت . إنه لم
يكن عندهن شيء يتعشينه إلا عدس وبصل ، فكرهن أن تشتم
ذاك من أفواههن . فبكى عمر ، ثم قال لهن : يا بناتي ، ما ينبغيكن
أن تعشين الألوان ، وييسر بآبيكن إلى النار . فبكين ، حتى
علت أصواتهن ، ثم انصرف .

وقال عمر بن عبد العزيز يوما . « أسخنوا لي ماء أغتسل
للجمعة » فقيل له : يا أمير المؤمنين ، لا والله ما عندنا عود
حطب . نوقده به ، وذهبوا بالقمقم إلى مطبخ المسلمين ، ثم
جاءوا بالقمقم وهو يفور ، فقال عمر « ألم تخبروني أنه ليس
عندكم حطب ، لعلكم ذهبتم به إلى مطبخ المسلمين » . قالوا :
« نعم » قال . ادعوا لي صاحب المطبخ . فلما جاءه ، قال
له . قيل لك هذا قمقم أمير المؤمنين ، فأوقدت تحته ؟ قال
لا والله يا أمير المؤمنين ، ما أوقدت تحته عودا واحدا ، وإن
هو إلا جمر ، لو تركته ، لخنه حتى يصير رمادا . قال : فبكم
أخذت الحطب ؟ قال . بكذا . قال « أدوا إليه ثمنه » .
وأتى عمر بن عبد العزيز بماء قد سخن في فحم الإمارة . فكرهه
ولم يتوضأ منه .

وطالب عمر بن عبد العزيز من غلامه أن يشوى له كبكبة من
لحم ، ففعل بها ، فقال له عمر « أسرع بها . ! » قال .
شويتها في نار المطبخ ، وكان للمسلمين مطبخ . يفديهم ويعشيهم ،
فقال لغلامه : « كلفها يا بني ، فإنك رزقتها ولم أرزقها ، وكان
عمر يجعل في كل يوم درهما من خاصة ماله في طعام العامة ،
ثم يأكل معهم ، فلم يكن عمر يرتزق دون المسلمين ، وكان
ينزل بأهل الذمة ، فيقدمون له من الحلبة والبقول ، وأشباه

ذلك ، بما كانوا يصنعون من طعام ، فيعطونهم أكثر من ذلك
ويأكل معهم ، فإن أبوا أن يقبلوا ذلك منه ، لم يأكل ، فأما
من المسلمين ، فلم يكن يقبل شيئاً .

وأخرج من الخزان مسك من فيء المسلمين ليقسم بينهم ،
ووضع بين يدي عمر بن عبد العزيز ، فأمسك عمر بأنفه ،
مخافة أن يجد ريحه ، فقال له رجل من أصحابه : « يا أمير المؤمنين
ماضرك أن وجدت ريحه . قال : وهل ينتفع من هذا إلا
بريحه . ؟ »

وحدث الليث عن محمد بن قيس ، قال : خرج علينا يوما
مزاحم ، فقال : لقد احتاج أهل أمير المؤمنين إلى نفقة ، ولا أدرى
من أين أخذها ، ولا أدرى من أستلفها . فقلت : لولا قلة ما
عندي . لعرضته عليك . قال : وكم عندك ؟ ، قلت : خمسة دنانير .
قال : والله إن في خمسة دنانير لبلاغاً ، فأعطيتها ، فدفعتها
إليه ، ثم أتاه مال من أرض عمر باليمن ، قال : فرأى مزاحم
مسروراً ، وقال : « قد جاءنا مال من أرض لنا نقضيك الآن
تلك الخمسة الدنانير ، ودخل مزاحم وخرج ، ولأحدى يديه على
رأسه ، وهو يقول : « أعظم الله أجر أمير المؤمنين » .. أعظم
الله أجر أمير المؤمنين » قال : قلت . أجل ، أعظم الله أجر أمير
المؤمنين ، وما ذاك ؟ . قال . « أمر بهذا المال الذي جاء من

أرضه أن يدخل بيت المسلمين ، فلا أدري كيف تميل لي في
الخيمة حتى قضاني .

وقال محمد بن كعب القرظي : دخلت على عمر بن عبد العزيز
لما استخلف . وقد نحل جسمه ونفى (١) شعره ، وتغير لونه ،
وكان عهدنا به بالمدينة أميرا علينا حسن الجسم ، مملوء البضعة ،
فجعلت أنظر إليه نظرا ، لا أكاد أصرف بصرى عنه ، فقال :
« يا ابن كعب ، مالك تنظر إلى نظرا ما كنت تنظره إلى من قبل ؟ »
فقلت . لعجبي ، قال : « وماذا عجبك ؟ فقلت : « لما نحل من
جسمك ، ونفى من شعرك ، وتغير من لونك . قال . وكيف ،
لو رأيته بعد ثلاث في قبري ، حين تقع عيناى على وجهتى ،
ويسيل منخري وفي دودا ، وصديدا ، لكنت لى أشد نكرة
منك اليوم . . . ١

وسئلت فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر عن عبادة عمر ،
فقال : « والله ما كان بأكثر الناس صلاة ، ولا أكثرهم
صياما ، ولكن والله ما رأيت أخوف لله من عمر ، لقد كان
يذكر الله في فراشه ، فينتفض انتفاض الصفور من شدة
الخوف حتى تقول : « ليصبحن الناس ولا خليفة لهم ، وكان لعمري

(١) شعث وتساقط .

عُلام وبرذون بفعل عليه ، فسأل عمر العلام يوما عن حاله ، فقال :
« الناس كلهم بخير إلا أنا وأنت وهذا البرذون ، قال عمر :
أذهب به فأنت حر . »

وكان عمر بن عبد العزيز يقول قبل الخلافة . « لقد خفت
أن يعجز ما قسم الله لي عن كسوتي ، وما لبست ثوبا قط ، فرآه
الناس على إلا خيل لي أنه قد بلى . ولما ولي خرج من ذلك كله ،
وحدث رجاء بن حيوة ، قال . ولما استخلف عمر بن عبد العزيز ،
قوموا ثيابي ، اثنا عشر درهما . كتمه وعمامته وقيصره ، وقبائه ،
وخفيه ورداه . »

وقال رجل لابن عبد العزيز : وقد رآه في قميص مرقوع الجيب
من بين يديه ومن خلفه : « يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل قد
أعطاك ، فلو لبست . . . فنسكس عمر مليا . ثم رفع رأسه ، وقال :
« إن أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند المقدرة . »

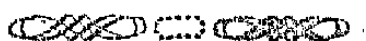
ودخل مسامة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز يعوده
في مرضه ، فإذا عليه قميص وسخ ، فقال لأخته فاطمة زوج
عمر : « يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين . » قالت . تفعل
إن شاء الله . ثم غدا عليها مسامة ، فإذا القميص على حاله .
فقال لها مسامة : يا فاطمة ، ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير
المؤمنين ، فإن الناس يعودونه ، قالت فاطمة « والله ماله

فقيص غيره . . وقال له عمر : دعها يا مسلمة ، فما أصبح ولا
أسى لأمير المؤمنين ثوب غير الذي عليه . .

ومر عمر بن عبد العزيز ذات يوم بفاطمة زوجته ، فضرب
على كتفها ، وقال ، يا فاطمة . لنحن ليالي دابق أنعم منا
اليوم . فقالت . والله ما كنت على ذلك أقدر منك اليوم ،
فأدبر عنها ، وله حنين ، وهو يقول ، يا فاطمة ، إني أخاف
النار ، يا فاطمة : إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم
عظيم . .

ووفد على عمر بن عبد العزيز بريد من بعض الآفاق ،
فانتهى إلى باب عمر ليلا . فقرع الباب ، فخرج له البواب .
فقال : أعلم أمير المؤمنين ، أن الباب رسولا من « فلان »
حامله ، فدخل فأعلم عمر - وقد كان أراد أن ينام - فقام
وقال . ائذن له ، فدخل الرسول ، فدعا عمر بشمعة عظيمة
غليظة فأبهرت نارا ، واجلس الرسول ، وجلس عمر ،
فسأله عن حال أهل البلد ، ومن بها من المسلمين ، وأصل
البلد ، وكيف سيرة العاقل ، وكيف الأسفار ، وكيف أبناء
المهاجرين والأنصار . وأبناء السبيل والفقراء ، وهل أعطى كل
شيء حق حقه ، وهل له شاك . وهل ظلم أحدا : فأنبأه بجميع
ما علم الرسول من أمر تلك الولاية . يسأله ، فيخفي السؤال ،

حتى إذا فرغ همر من مسأله . قال له الرسول يا أمير المؤمنين :
 كيف حالك في نفسك وبدنك ، وكيف عيالك وجميع أهل
 خزانتك ، ومن تعنى بشأنه ؟ . فنفض عمر الشمعة . فأطفأها
 بنفخته ، وقال : يا غلام ، عليّ بسراج ، فجاء بفتيلة لا تكاد تضيء
 وقال عمر للرسول : سل عما أحببت فسأله عن حاله . فأخبره عن
 حاله وحال ولده وعياله وأهل بيته ، فعجب البريد للشمعة وإطفائه
 لها . وقال : يا أمير المؤمنين . رأيتك فعلت أمراً . ما رأيت
 مثله . قال . وما هو ؟ . قال . إطفأؤك الشمعة عند مسألتى إليك
 عن حالك وشأنك ، فقال . يا عبد الله ، إن الشمعة التي رأيته
 أطفأها ، . من مال الله ومال المسلمين ، وكنت أسألك عن
 حوائجهم وأمرهم ، فكانت تلك الشمعة تقدر بين يدي فيما يصلحهم
 وهي لهم ، فلما صرت لشأني وأمر عيالي ونفسي أطفأت نار المسلمين .
 وبعث إليه زوجه بأوأة وقالت له . إن رأيت أن تبعث لي بأخت
 لها حتى أجمعها في أذني ، فأرسل إليها بجمرتين ، وقال لها . إن
 استطعت أن تجعل هاتين الجمرتين في أذنك بعثت إليك بأخت لها .



الراعى الامسين

هذه الإحاطة بسيرة ابن عبد العزيز الخاصة ، وهذا العرض لما كان بينه وبين أهله وقومه ، ليبدل كل ذلك على أن الدولة الإسلامية زمن عمر بن عبد العزيز قد طاف بها طائف من الزهد والورع والتدين اقتداء بالخليفة — والناس على دين ملوكهم . وأصبحت خشية الله تسير الناس فى أعمالهم وفى أقوالهم وفى طعامهم وفى ملبسهم وفى شربهم ، وصار فى عهد عمر بن عبد العزيز يتقون فيقول الرجل للرجل ، ما وردك الليلة ؟ ولم تحفظ من القرآن ، وفيم تلتئم ، وما تصوم من الشهر ؟ وأضحى الناس وقد شملتهم نعمتا الرضا واليسر .

وكان الناس من قبله على زمن الوليد بن عبد الملك يسأل بعضهم عن البناء والمصانع ، وفى أيام سليمان ، كان يسأل بعضهم بعضا عن الزواج والجارى ، فقد كان الوليد صاحب بناء واتخاذ مصانع وضياع ، وكان سليمان صاحب نسكاح ودعائم .

وإن هذه الروح الدينية التى غلبت على عمر بن عبد العزيز وصيرته زاهداً ، وناسكا ، واعظا ، لم تغنه عن أن يسمع

لوعظ غيره ، بل لأنه كان يسمى لذلك ، ويكتب العلماء ورجال الدين ، ويتلقى منهم المواعظ فتزداد نفسه هيبة من عذاب الآخرة وخشية من لقاء ربه .

كتب عمر إلى الحسن البصري : عظمي وأوجز ، فكتب إليه : أما بعد ، فإن رأس ما هو مصلحك ، ومصلح به على يدك ، الزهد في الدنيا ، وإنما الزهد باليقين ، واليقين بالتفكير ، والتفكير بالاعتبار . فإذا أنت تفكرت في الدنيا ، لم تجد لها أهلاً أن تبسح بها نفسك ، وجدت نفسك أهلاً أن تسكرها بهوان الدنيا ، فإنما الدنيا دار بلاء ومنزل غفلة ولو كان لك عمر نوح ، ومالك سليمان . ويقين إبراهيم ، وحكمة لقمان ، فإن أمالك هول الموت ، ومن ورائه داران ، إن أخطأئك هذه صرت إلى هذه .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله يسأله أن يبحث له بكتب عمر بن الخطاب وسيرته وقضائه في أهل القبلة وأهل الذمة ، فإنه سائر بسيرته ، ومتبع أثره . فكتب إليه سالم .

« . . . أما بعد . . . فإنك يا عمر ، قد وليت أمراً عظيماً ، فإن استطعت ألا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة ، فافعل . . . وإن استطعت أن تجيء يوم القيامة لا يتبعك أحد بمظلمة ، ويجيء من قبلك ، وهم غابطون لك ، فافعل ، فإنهم

قد عالجوا نزع الموت ، وعاینوا أهوال المطلاع ، وانفقات
أعينهم التي كانت لاتنقضي لذاتها ، وانشقت بطونهم التي كانوا
لايشبهون فيها ، واندقت رقابهم غير متوسدين بعد تظاهر الفرش
والمراقق والأسر والخدم ، وصاروا بجيفا في بطون الأرض
تحت آكامها ، لو كانوا جنب مساكين تأذوا من ريحهم بعد
إنفاق ما لا يحصى من الطيب ، فإننا لله وإننا إليه راجعون ،
ما أعظم ما ابتليت به ياعمر ، فمن بعثت من عمالك ، فازجره
زجرا شديدا شبيها بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء
إلا بحقها ، المال - المال - ياعمر ، الدم . الدم ياعمر . . كتبت
إلى أن أبعث إليك بكتب عمر وسيرته ، وإن عمر عمل في غير
زمانك ، وبغير رجالك ، ولأيت في زمن تعلم بعد ما عمل .
وأنا أرجو إن عملت على النجو الذي عمل به عمر بعد ما باوت
من الظلم أن تكون أفضل من عمر عند الله ، وقل كما قال
العبد الصالح : « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه . . »

* * *

وأتى رجل من أذربيجان عمر بن عبد العزيز . وقام بين
يديه ، ثم قال : « يا أمير المؤمنين اذكر بمقامي هذا مقاما لاتشغل
الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من
العمل ، ولا برامة من الذنب ، فبكي عمر بكاء شديدا ، ثم

قال للرجل : ويحك ، أردد على كلامك هذا ، فجعل الرجل ،
يردده عليه ، وعمر يبكي وينتحب . ثم قال له . ما حاجتك ؟ .
قال : إن عامل أذربيجان عدا علي ، فأخذ مني اثني عشر ألف
درهم ، فجعلها في بيت المال . فقال عمر : اكتبوا الساعة إلى
عاملها حتى يرد عليه .

ولما ولي عمر الخلافة ، وفد عليه بلال بن أبي بردة بن أبي
موسى الأشعري ، فهنأه فقال : من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين
شرفته ، فقد شرفتها ، ومن كانت زانته فقد زنتها ، وأنت والله
كما قال مالك بن أسماء .

وتزيد بن طبيب الطيب طيباً إن تسميه : أين مثلك أينما
وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا
فجزاه عمر خيراً ، ولزم بلال المسجد ، يصلي ، ويقرا
ليله ونهاره ، فهم عمر أن يوليه العراق ، وأراد أن يخبر أمانته ،
فقال للعلاء بن المغيرة : « إن يكن سر الرجل كعلائته ، فهو
وجل العراق غير مدافع » ودسه إليه ليأتيه بخبره ، فأتاه العلاء
فقال له : قد عرفت حالي من أمير المؤمنين ، فإن أنا أشرت
بك على ولاية العراق ، فما تجعل لي ؟ . قال : لك عمالي
سنة . وكان مبلغها عشرين ألف ألف درهم . قال العلاء .

فاكتب لى بذلك فأسرع بلال إلى منزله ، فأتى بدواة وصحيفة ،
وكتب له بذلك . فأتى العلاء عمر بالكتاب ، فنفى عمر بلالا ،
وأخرجه ، وكتب إلى والى الكوفة : « أما بعد ، فإن بلالا
غشنا بالله ، فسكننا نفتر : فسبكناه ، فوجدناه خبيثا كاه . . . »

وعهد عمر إلى النظام الإقليمي فأصلحه ، بأن عزل العمال
المتشبهين بروح الحجاج ، عزل يزيد بن المهلب ، وحلبه في
مال كان للدولة في ذمته ، ونفى نفرا من بنى عقيل أسرة الحجاج
ورولى عمالا جدد ، لم يحفل في تخييرهم بعصدياتهم ، ولا بقدرتهم
على جمع الأموال كما كانت الحال من قبل ، ولكن بحسن سيرتهم
وطهارة ذمتهم ، فكان من عماله : عدى بن أرطاة الغزاري وإلى
البصرة ، وعبد الحميد بن عبد الرحمن القرشي وإلى الكوفة ،
وعبد الرحمن بن نعيم القشيري وإلى خراسان ، وأبو بكر بن حزم
أمير المدينة ، والسمح ابن مالك الخولاني أمير الأندلس ،
وأيوب بن شرحبيل أمير مصر .

وقد شد عمر أزر الولاية بقضاة عدول ، فجعل الحسن
البصري على قضاء البصرة ، وعامرا الشعبي على قضاء الكوفة ، كما
جعل أبا الزناد كاتباً لأمير الكوفة ، ولم يكلف عمر بذلك في
إصلاح الإدارة الإقليمية ، بل تقدم إلى العمال في أمر العقوبات ،

ألا يأمرُوا بقطع أو صلب قبل مراجعته هو . وكانت كتاباته
إلى الولاة فى كل أمر يعنيه منهمجا قويمًا لكل راع مسئول
عن رعيته .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى ولاة الأقاليم كتابًا دوريًا ،
قال فيه : « أما بعد ، فإن عرى الدين ، وقوام الاسلام ، الايمان
بالله . وإقام الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة ، وحافظ على أوقات
الصلوات ، فإن وقتها الهجيرة بالظهر ، وصلاة العصر والشمس
بيضاء تقيّة ، لم يدخلها صغرة ، وصلاة المغرب لفطر الصائم ،
ولا فصلين العشاء حتى يذهب شفق الأفق . وهو البياض ، فإذا
ذهب فصلها فيما بين ثلث الليل : ثم صل صلاة الفجر
بغلس ، وحافظ على ذلك ، فإن المحافظة عليها حق ، وأصبر
نفسك على ذلك ، واجتنب الأشغال عند حضور الصلوات ،
واكتب بذلك إلى عمالك بالمداين والقرى وحيث ما كانوا ،
فإن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا » و « إن الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، فإنه من ضيع
الصلاة ، فهو لما سواها من شرائع الإسلام أشدّ تضييعها ، ثم
أكثر تعاهد شرائع الإسلام ، ومر أهل العلم والفقہ من جندك
فلينشروا ما عليهم الله من ذلك ، وليتحدثوا به فى مساجدهم » .

وكتب عمر إلى أمراء الأجناس ، فقال : « أما بعد :

« فإنه من بلى بالسلطان تحضره مكاره كثيرة وبلايا عظام ، إن
 أغبته يوما فهي حرية أن تحضره في اليوم الآخر ، فاتق الله ما
 استطعت ، واذكر منزلك الذي أنت به ، والذي حصلت ،
 وقاتل هواك كما تقاتل عدوك ، واصبر نفسك على ما كرمت
 ابتغاء ما عند الله من حسن ثوابه الذي وعد المتقون فيما بعد
 الموت ، والذي وعدكم على التقوى والصبر من النجاة في عاجل
 الأمر وآجله ، فإذا حضرك الخصم الجاهل الخرق من قدر الله أن
 يوليكَ أمره ، وأن تبطل به ، فرأيت منه سوء نزعة ، فسدده
 ما استطعت ، وبصّره ، وارفق به وعلمه ، فإن اهتدى وأبصر ،
 وعلم ، كانت نعمة من الله وفضلا . . وإن رأيت أنه أتى ذنبا
 استحلب فيه عقوبة ، فلا تماقبه بغضب من نفسك عليه ، ولكن
 عاقبه ، وأنت تتحرى الحق في قدر ذنبه ، بالغاما بلغ ، ولا
 يسرعن بك إلى عقوبته حضور من يحضرك ، وما من قوم
 يسمعون بقضاء إمام إلا سيختلفون فيه على أهوائهم إلا من
 رحم الله ، وإن استجملت ، فتثبت . . . ثم تعاهد صاحب
 بابك وصاحب حرسك ، وعاملك المقيم عندك . والذين تبعث ،
 فلا يعملون في شيء مما تحت يدك بغشم ولا بظلم ، وأكثر المسألة
 عنهم . فمن كان منهم محسنا نفعه ذلك ، ومن كان منهم مسيئا
 استبدلت به من هو خير منه . »

وكتب عمر إلى عماله : إن الولاية بلاء ، فقال : أما
بعد ، فإن من يلى من أمر السلطان بشيء ، فقد ابتلي في الدنيا
ببيلة عظيمة مع ما ابتلي به في خاصة نفسه . . . وإنما وجدت
والى السلطان عبدا مملوكا ، وثقلى ضيعة ، عليه الاجتهاد فى إصلاحها ،
أجره إحسان أحسنه . فاصبر على ما كرهنا ، واصبر على ما
أحببت ، وقف نفسك فى كل سر وعلانية عند الذى تريجو به
النجاة عند ربك حتى تفارق الذى أنت فيه . . ونذكر ما سلف
منك من عملك فيما سلف ، بما لا تحب فأصلحه قبل أن يتولى
صالحه غيرك ، ولا يكبر عليك فى ذلك قول الناس . . . وكن
لمن ولاك الله امره ناصحا فيما بعثتك إليه من أمورهم ،
وأغراضهم ، واستر كل ما استطعت من عوراتهم إلا شيئا أبداه
الله ، لا يصلح لك ستره ، وأملك نفسك عنهم إذا هويت وإذا
غضبت . . وإذا سبقك أمر أو سلف منك هوى أو غضب ،
فراجع أمرك . .

وكتب أيضا إلى العمال يحثهم على اتباع ما أمر الله ، واجتناب ما نهى عنه ، فقال . . . أما بعد ، فإن هذا الأمر الذي ولاني الله ، لو كنت إنما أصبحت ، ورغبتى فيه مطعم أو ملابس أو مركب ، أو اتخاذ أزواج أو اعتناء أموال ، لكنت قد بلغت من ذلك قبل ما ولاني من أفضل ما بلغ بعباده ،

ولكني أصبحت له خائفا ، أعلم أن فيه أمرا عظيما ، وحسابا شديدا ، ومسألة لطيفة ، عند مجاهدة الخصوم بين يدي الله . . . وإني آمرك فيما وليتك من عمل ، وأفضيت إليك من أمرى ، بتقوى الله وأداء الأمانة ، واتباع ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه ، وقلة الالتفات إلى شيء خالف ذلك . . . وأنت تفهم علما يقينا أنه ليست نجاة ولا حرز إلا أن ينزل بذلك المنزل من طاعة الله ، ودع أن ترصد شيئا ليوم ترجوه ، أو تخافه ، سوى ما ترجوه غدا من الله وتخاف منه .

وإن القانون الأساسى الذى سارت عليه الجمهورية الإسلامية فى عهد عمر بن عبد العزيز تشتمل مواده فيما كتب به عمر إلى العمال . حيث يقول :

... أما بعد ، فإن الله بعث محمدا . . . بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأو كره المشركون ، وإن دين الله الذى بعث به محمدا . . . كتابه الذى أنزل عليه ، أن يطاع الله فيه ، ويتبع أمره ، ويجتنب ما نهى عنه ، وتقام حدوده ، ويعمل بفرائضه ، ويحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويعترف بحقه ، ويحكم بما أنزل فيه . من اتبع هدى الله ، اهتدى ، ومن صد عنه ، فقد

حصل سواء السبيل ، . وإن من طاعة الله التي أنزل في كتابه
أن يدعو الناس إلى الإسلام كافة ، وأن يفتح لأهل الإسلام
باب الهجرة ، وأن توضع الصدقات والأخماس على قضاء الله
وفرائضه ، وأن يبتغى الناس بأموالهم في البر والبحر ، لا يمتنعون
ولا يحبسون فمن أسلم من نصراني أو يهودي أو مجوسي
من أهل الجزية اليوم ، فإن له ما للمسلمين ، وعليه ما عليهم . . .
وأما من كان محاربا ، فليدع إلى الإسلام قبل أن يقاتل ، فإن
أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وله ما أسلم عليه من
أهل ومال ، وإن كان من أهل الكتاب فأعطى الجزية ،
وأمسك ، فإننا نقبل ذلك منه .

وأما الهجرة ، فإننا نفتحها لمن هاجر من أعرابي ، فباع
ماشيئته ، وانتقل من دار أعرابيته إلى دار الهجرة ، وإلى قتال
عدونا ، فمن فعل ذلك ، فله أسوة المهاجرين فيما أفاء الله عليهم . . .
وقد كان المهاجرون يجاهدون على غير عطاء ولا رزق يجرى
عليهم ، فيوسع الله عليهم . . . وأما الصدقات ، فإن الله تبارك
وتعالى فرضها ، وسمى أهلها حين طعن فيهم أناس ، وبلغوا
فيها تهمة نديهم : فقال . . . ومنهم من يأمرك في الصدقات ، فإن
أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ،
فقال الله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين

عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والفارمين ، وفي سبيل الله ،
وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم .

وأما الخمس فقد قضى فيه عمر ، أن يباحق الخمس
بالفء . وأن يوضع مواضعه التي سمي الله ، وفرض ، فاقتدوا بإمام
عادل ، فإن الآيتين متفقتان ، آية الفء ، وآية الخمس . فإن الله
قال . « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ، فله وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وكذلك فرض
الله الخمس ، فنرى أن يحصها جميعا ، فيجعلها قسما للمسلمين ، ولا
يستأثر عليهم ، ولا يكون . . دولة بين الأغنياء منكم . »

وأما البحر ، فإننا نرى سبيله سبيل البر ، قال : « الله الذي
سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ،
فأذن فيه أن يتجر فيه من شاء ، وأرى ألا نحول بين أحد من
الناس وبينه ، فإن البر والبحر لله جميعا ، سخرهما لعباده ،
يبتغون فيهما من فضله ، فكيف نحول بين عباد الله وبين
معايشهم . »

ثم إن المسكيات والميزان نرى فيهما أمورا ، علم من بأنها
أنها ظلم ، إذ ليس في المسكيات زيغ إلا من تطفيف ، ولا في
الميزان فضل ، إلا من بخس ، فنرى أن تمام مكيال الأرض وميزانها

أن يكون واحدا في جميع الأرض كلها .

وأما العشور ، فنرى أن توضع إلا عن أهل الحرث ، فإن
أهل الحرث يؤخذون بذلك ، وإنما أهل الجزية ثلاثة نفر :
« صاحب أرض يعطى جزية منها ، وصانع يخرج جزية من كسبه
وتاجر يتصرف بماله ، يعطى جزية من ذلك ، وإنما سائرهم
واحدة ، فأما المسلمون فإنما عليهم صدقات أموالهم » .

ونرى ألا يتجر إمام ، ولا يحل له عامل تجارة في سلطانه الذي
هو عليه ، فإن الأمير متى يتجر يستأثر ويصيب أموراً فيها عنت ،
وإن حرص على ألا يفعل .

ونرى أن توضع السخرة عن أهل الأرض ، فإن غايتها أمور
يدخل فيها الظلم . ونرى أن ترد المزارع لما جعلت له ، فإنما
جعلت لأرزاق المسلمين عامة ، وإن أمر العامة هو أفضل للنفع
وأعظم للبركة .

ثم إن موارد أهل الأرض ، إنما هي لأوليائهم ، أو لأهل
أرضهم الذين يخرجون الخراج .

* * *

وكان عمر بن عبد العزيز إلى هذا ضيقاً بال المسلمين ، حريصاً
عليه ، يأخذ الولاة على حفظه ، ويحملهم على رعاية الله فيما بين

عليه . يأخذ الولاية على حفظه ويحملهم على رعاية الله فيما بين أيديهم
منه ، وقد جعل سلوكه سنة لهم ، وكتب إليه والي المدينة محمد
ابن حزم أنه كان يقطع عن كان مثله من أمراء المدينة من الشجع
كذا وكذا ، يستضيئون به في مخرجهم . . فرد عليه عمر : لقد
ابتليت بجوابك ، وامرئى لقد عهدت لك يا ابن أم حزم ، وأنت
تخرج من بيتك في الليلة الثانية المظلمة بغير مصباح ، وامرئى لأنت
يومئذ خير منك اليوم ، ولقد كان في قتائل أهلك ما يغنيك .
وكتب إليه عمر أيضا ، وقد سأله ابن حزم ، أن يجري عليه
ما كان يجري على من كان قبله من القرامطيس الخوارج المسلمين ، فقال
له : « إذا جاءك كتابي هذا ، فأرق القلم ، واجمع الخط ، واجمع
الخوارج الكثيرة في الصحيفة الواحدة ، فإنه لاجابة المسلمين في
فضل قول أخير ببيت ما لهم .

وجاء رجل إلى عمر يشكو إليه عسدي بن أرطاة في أرض
له ، فقال له عمر « قد عنّاك إلى » ، إنى كتبت له ، إنه من أهلك
بيينة على حق هو له ، فسلمه إليه ، وأمر عمر برد أرض
الرجل إليه : ثم سأله عمر « كم أنفقت في مجيئك إلى ؟ » . فقال
الرجل : يا أمير المؤمنين ، تسأني عن نفقتي ، وأنت قد رددت
على أرضي ، وهي خير من مائة ألف ؟ فقال عمر : إنما رددت

عليك حقت ، فأخبرني كم أنفقت ، قال : ما أدرى ، قال :
أحزره ، قال : ستون درهما ، فأمر له عمر بها من بيت المال ،
ولما ولي الرجل ، ضاع به عمر . فربح ، فقال له خذ هذه خمسة
دراهم من مالي ، فكل بها لحما حتى ترجع إلى أمك إن شاء الله .

وأبلغ من ذلك في الدلالة على تحري عمر العدل المطلق مارواه
البلاذري . قال : قال ضمرة عن علي بن أبي حمزة ، خاصمنا
العجم من أهل دمشق ، في كنيسة أدخلها الوليد في مسجد دمشق
بغير رضا النصارى ، وشكوا إلى عمر بن عبد العزيز ما فعل الوليد
في كنيساتهم ، فكتب عمر إلى عامله ، يأمره برد ما زاده في المسجد
عليهم ، فكره أهل دمشق ذلك ، وقالوا : نهدم مسجدا بعد
أن أذنا فيه ، وصلينا ، ويرد عليهم بيعة ، وفيهم يومئذ سليمان
ابن حبيب المحاربي وغيره من الفقهاء ، وأقبلوا على النصارى ،
فسألوهم أن يسطوا جميع كنائس الفوطاة ، التي أخذت عنوة ،
وصارت في يد المسلمين ، على أن يصفحوا عن كنيسة دمشق التي
ضمت إلى المسجد ، فرضوا بذلك . وأعجبهم ، فكتب العامل إلى
عمر به ، فسر به ، وأمضاه .

ولقد كان عمر يدرك أن بيت المال هو بيت المسلمين ، يجب

أن يشعلهم ويرعى مصالحهم .

كان يأمر عباده بقضاء الديون عن الفارسيين ، فكتب إليه بعضهم « إنا نجد الرجل له المسكن والخادم ، وله الفرس ، والآثاث في بيته » . فكتب إليه عمر « لا بد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى إليه ، وخادم يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه ، وآثاث في بيته ، فهو غارم ، فاقضوا عنه » .

وقال يحيى بن سعيد : بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية ، فاقترضتها . وطلبت الفقراء . أعطيتهم ، فلم نجد فقيرا ولم نجد من أهلها من يأخذها مني . قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، فاشتريت بها رقابا ، فأعتقتهم . . .

وحدث رجل من ولد زيد بن الخطاب ، قال . لما ولي عمر ابن عبد العزيز سنتين ونصفا ، فذلك ثلاثون شهرا ، فما مات حتى جعل الرجل يأثنا بالمسال العظيم ، فيقول : اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء ، فما يبرح ، حتى يرجع بماله ، يتذكر من يصنعه فيهم ، فلا يجده ، فيرجع بماله . قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس .

ولما جاء أصحاب مراكب الخلافة يسألون عمر بن عبد العزيز الدواة ، ورزق خدمها ، قال عمر « وكم هي . كذا وكذا » قال ، ابشروا بها إلى أمصار الشام يبيعونها . فيمن يريد ، واجعلوا

أثمانها في مال الله عز وجل ، فكففتني بغلتي هذه الشهباء .

وجاءه صاحب الرقيق ، يسأل أرزاقهم وكسوتهم ، وما يصلحهم ، فقال عمر . كم هم . قالوا ، هم كذا وكذا ألفا ، فكتب إلى أمصار الشام أن أرفعوا إلى كل أعشى في الديوان ، أو مقفرا ، أو من به فليج ، أو من به زماعة ، تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة ، فرفعوا إليه ، فأمر لكل أعشى بقائد من حرسه ، وأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم ، وفضل من الرقيق ، فكتب ، أن أرفعوا إلى كل يتيم أو من لا أحد له ، من قد جرى على والده الديوان ، وأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بينهم بالسوية .

وأتى بسارق إلى عمر بن عبد العزيز . فشكا له السارق حاجة فعذره ، وأمر له بعشرة دراهم .

وكتب حمزة البيت إلى عمر بن عبد العزيز ، يأمر للبيت بكسوة ، كما كان يفعل من كان قبله ، فكتب إليهم . إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة ، فإنه أولى بذلك من البيت .

وطلب ابن لعمر بن عبد العزيز إلى أبيه أن يزوجه ، وأن يصدق عنه من بيت المال ، وكان لابنه هذا امرأة . فغضب لذلك عمر ، وكتب إليه . لقد أتانى كتابك تسأني أن أجمع لك بين الضرائر من بيت مال المسلمين ، وأبناء المهاجرين لا يحسد أحدهم

امرأة يستهف بها ، فلا أعرفن ما كتبت بثل هذا . ثم كتب
إليه . . أن انظر إلى ما قبلك من نحاسنا ومتاعنا ، واستعن
بثمنه على ما بدا لك .

وكان عمر بن عبد العزيز يفرض على الدولة الإشراف والانفاق
على التعليم ، والعمل على نشره بين أبنائها ، فقد أراد تعاليم الناس في قوله :
« إن للإسلام حدودا وشرائع رسنا . . فإن أعش أهلكموها
وأحلاسكم عليها ، وقوله : « تعلموا العلم ، فإنه زين للغي ، وعون
للفقير ، لا أقوال إنه يطلب به ، ولكنه يدعو إلى القناعة ،
وقوله : « إن استطعت فكن عالما ، فإن لم تستطع فكن متعلما ،
فإن لم تستطع فأحبهم ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم .

ولقد أخذ عمر بن عبد العزيز في نشر العلم ، فبعث يزيد
ابن أبي مالك الدمشقي ، والحارث بن محمد الأشعري إلى البادية
أن يعلموا الناس . وأجرى عليهما رزقا ، فقبل يزيد ، ولم
يقبل الحارث الأجر ، وقال : ما كنت لأخذ على علم علميه
الله أجرا ، وذكر ذلك لعمر . فقال « مانع بما صنع يزيد
بأسا ، وأكثر الله فينا مثل الحارث .

وعمر بن عبد العزيز هو أول خليفة أمر بجمع أحاديث
رسول الله وتدوينها . فقد كتب إلى محمد بن حزم وإلى المدينة

أن انظر إلى ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو سنته ، فاكْتبه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ،
وكتب إلى عماله في الآفاق ، أن أنظروا إلى حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فاجمعوه . .



الخليفة .. والشعراء

ولما رأى عمر أن ليس للشعراء حق في بيت المال جعل
يجزيهم من عطائه وماله الخاص على قوته ، بالدرهم والدنانير
المحدودة ، وقد أدرك الشعراء علة حربه هذا ، فكانوا يقبلون
منه العطاء اليسير ، أو الرد أحيانا بغير عطاء ، ولم يقصروا
في مدحه والثناء عليه .

وقدت إليه الشعراء ، كما كانت تنفذ إلى الخلفاء قبله ، وكان
فيمن حضر نصيب ، وجريير ، والفرزدق والأحوص وكثير
والحجاج القضاعي والأخطل ، فأقاموا بيابه شهرا ، لا يأذن لهم
بالدخول فلم يكن لهم فيهم رأى ولا مأرب ، وإنما كان رآيه
وبطائنته وأهل أربه القراء ، ومن وسم عنده بالورع والتقوى ، يبعث
إليهم حيث كانوا - حتى يقدم عون بن عبد الله بن عتبة ،
وكان ورعا فتيها ، مفوما في المنطق ، فرآه جريير على باب عمر
معتما بهامة قد أرخت طرفيها ، فصاح به جريير :

يا أيها القاريء المرخي عمامته	هذا زمانك إلى قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه	أنى لدى الباب كما المصفود في قرن
وحش المسكانة من أهلي ومن ولدي	نأى المحلة عن داري وعن وطني

فقال ابن عتبة : نعم ، ولما دخل على عمر ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن الشعراء يسابك ، وسبائهم مسمومة ، وأفوالهم نافذة باقية . فقال عمر : ويحك مالي وللشعراء ؟ قال ابن عتبة : أعز الله أمير المؤمنين ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح ، وأعطى ، وفي رسول الله أسوة لكل مسلم ، قال عمر ، ومن مدحه ؟ قال : عباس بن مرداس ، فسكاه حلة قطع بها لسانه . قال . وتروى من قوله شيئاً ؟ قال : نعم . وأنشده :

وأيتك يا خير البرية كلها	نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لأدب الهدى بعد جورنا	عن الحق لما أصبح الحق مظلما
أفت سبيل الحق بعد اعوجاجه	وكان قديما ركنه قد تهدما

قال عمر . صدقت ، فمن الباب منهم ؟ قال . ابن عمك عمر ابن أبي ربيعة ، قال : لا قرب الله قرابته ، ولا حياء بيجهه ، أليس هو القائل :

ألا ليت أنى يوم حانت منيتى	شمنت الذى ما بين عينيك والضم
وليت طهورى كان ريقك كله	وليت حنوطى من مشاشك والدم
ويا ليت سلمى فى القبور ضجيعتى	هنالك أو فى جنة أو جهنم

فليته والله تمنى لقاءها فى الدنيا ، ويعمل عملا صالحا ، والله لا أدخل على أبدا ، فمن الباب غير من ذكرت ؟ قال ، جميل

ابن معمر العذري ، قال أليس هو الذي يقول :

ألا ليتنا نحيا جميعا وإن نمت يوافي لدى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا من طول الحياة براغب إذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظل نهاري لا أراها ، ويلتقى مع الليل روحى فى المنام وروحها

أعزب ، فوالله ، لا دخل على أبدا ، فمن غير الذى ذكر ؟
قال كثير عزة ، قال . هو الذى يقول :

رهبان مدين والذين عهدتهم يكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة ركما وسجودا
أعزب به ، فمن بالباب غير من ذكرت ، قال . همام ابن
غالب الفرزدق ، قال ، أليس هو القائل يفخر بالزنا :

هما دلتان من ثمانين قامة كما انقض باز أقنم الريش كما سره
فلما استوت رجلاى فى الأرض قالتا أحيى يرسجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا ووليت فى أعقاب ليل أبادره

أعزب به ، لا يظأ والله بساطى ، فمن بالباب غير من
ذكرت ؟ قال . الأنطال التفاهى ، قال . أليس هو الذى
يقول :

فلمست بصائم رمضان عمرى ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بزاجر عنا بكورا إلى بطحاء مكة للنجاح

ولست بقاتم كما امر أدعو قبيل الصبح حتى على الفلاح
ولكني سأشربها شمرلا وأسجد عند منباج الصباح

أعزب به ، فوالله لا وطى لي بساطا أبدا ، وهو كافر ،
فمن الباب غير من ذكرت ؟ قال . جرير بن الخطافى ، قال .
أليس هو القائل :

لولا مراقبة العيون أرينا مقل المها وسوالف الآرام
هل ينهينك أن قتلان مرقشا أو ما فلبان بعروة بن حزام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام
طرقك صائدة القلوب راييس ذا حين الزيارة فارجهى بسلام

فإن كان لابد ، فهذا ، وأذن لجرير ، فدخل ، وهو يقول :

إن الذى بعث النبى محمدا جعل الخلافة فى إمام عادل
وسع الخلائق عدله ووفاءه حتى ارعوا وأقام ميل المائل
والله أنزل فى القرآن فريضة لابن السبيل وللفقير العائل
إنى لأرجو منك خيرا عاجلا والنفس مولاة بحب العاجل

ولما مثل جرير بين يدى عمر بن عبد العزيز ، قال له عمر :
« ويحك يا جرير . اتق الله ولا تقل إلا حقا ، فأناشأ يقول :

أذكر الجهد والبلوى التى نزلت أم أكتفى بالذى نبئت من خبرى
كم باليامة من شعناء أرملة ومن يقيم ضئيف الصوت والنظر

من يعبدك تكفي فقد والده
يدعوك دعوة ملهوف كأن به
خليفة الله ماذا تأمرون بنا
ما زلت بعبدك في هم يورقني
لا ينفع الحاضر المجهود باديها
إنا نرجو إذا ما الخيث أخلفنا
نال الخلافة إذ كانت له قدرا
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها
كالفرخ في العش لم ينض ولم يطر
خبلا من الجن أو مسا من البشر
لسنا إليكم ولا في دار منتظر
قد طال في الحى إصعادي ومنجدي
ولا يعود لنا باد على حضر
من الخليفة ما نرجو من المطر
كما أتى ربه موسى على قدر
فمن حاجة هذا الأرملة الذكر

فقال عمر : يا جرير ، والله لقد وليت هذا الأمر ، وما أملك
إلا ثلاثمائة درهم ، فائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ..
يا غلام .. أعطه المائة الباقية ، فأخذها جرير : وقال . والله
يا أمير المؤمنين إنها لأحب مال كسبته .

ولما خرج من عنده قال الشعراء له : ما وراءك ؟ قال : ما يؤؤكم ،
خرجت من عند رجل يعطى الفقراء ، ويمنع الشعراء ، وأنا مع ذلك
عنه راض ، ثم أنشأ يقول :

رأيت رقي الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وحدث كثير عزة قال :

« لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة قدمت أنا وأصيب والأحوص ،
وكل واحد منا يدل بسابقتها عند عبد العزيز بن مروان ، وإخائه لعمر ،

فكان أول من أيقنا مسلمة بن عبد الملك ، وهو يومئذ فقي العرب ،
وكل واحد منا ينظر في عطفه ، ولا يشك أنه شريك الخليفة في
الخلافة ، فأحسن ضيافتنا وأكرم مشوانا . ثم قال : أما علمتم أن إمامكم
لا يعطى الشعراء شيئا . قلنا : قد سمعناك الآن فوجه لنا في هذا الأمر
وجهها ، فقال : إن كان ذو دين من آل مروان قد ولي الخلافة فقد بقي
من ذوى دنياهم من يقضى حوائجكم ، ويفعل بكم ما أنتم له أهل ،
لكم عندي ما تحبون . فأقننا على باب عمر أربعة أشهر ، لا نصل إليه ،
وجعل مسلمة يستأذن لنا فلا يؤذن ، فقالت : لو أتيت المسجد يوم
الجمعة ، فحفظت من كلام عمر شيئا . فأتيت المسجد ، فسمعتة يقول
في خطبة له :

« لكل سفر زاد لا محالة . فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة ، التقوى ،
وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فعمل طلبا لهذا ،
وخوفا من هذا ، ولا يطول عليكم الأمد ، فتقسو قلوبكم ، وتنقادوا
لعدوكم ، واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله
في الآخرة ، فأما من لا يداوى جرحا إلا أصابه جرح من ناحية
أخرى ، فكيف يطمئن بالدنيا ، أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسه
عنه ، فتخسر صفقتي ، وتبدو عاتي ، وتظهر مسكنتي ، في يوم لا ينفع
فيه إلا الحق والصدق . »

فارتج المسجد بالبكاء وبكى عمر ، حتى بل ثوبه ، وظننا أنه قاض

نحبه ، فبلغت إلى صاحبي ، فقلت : جددوا شهر من الشهر غير ما أعدناه ، فإن الرجل أخروي ، وليس بدنيوى .

ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم جمعة بعد ما أذن للامة ، فدخلنا وسلمنا عليه بالخلافة ، فرد علينا . فقلت يا أمير المؤمنين : طال الشواء ، وقلت الفائدة ، وتحدثت بحفائك إيانا وفود العرب .

فقال عمر يا كثير : أما سمعت قول الله عز وجل في كتابه : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين وفي سبيل الله ، وابن السبيل . فريضة من الله ، والله عليم حكيم » أفن هؤلاء أنت ؟ . فقلت له وأنا ضاحك . أنا ابن سبيل ومنقطع به ، قال . أولست ضيف أبي سعيد ؟ قلت . بلى .

قال عمر - ما أحسب من كان ضيف أبي سعيد ابن سبيل ، ولا منقطعا به .

ثم استأذن كثير في الإنشاد ، فقال له عمر . قل ، ولا تقل إلا حقا ، فإن الله سائلك ، فقال :

وليت ، فلم أشتم عليا ، ولم تخف برىا ، ولم تتبع مقالة مجرم وقلت فصدقت الذى قلت بالذى فعلت ، فأضحى راضيا كل مسلم تركت الذى يفنى وإن كان موقفا وآثرت ما يبقى برأى مصمم سائلك هم فى الفؤاد مسؤرق صعدت به أعلى المعالي بسلم

فما بين شرق الأرض والغرب كلها منادٍ ينادي من فصيح وأعجم
 يقول أمير المؤمنين ظلمتني بأخذ دينار ولا أخذ درهم
 فلو يستطيع المسلمون انقسموا لك الشطر من أعمارهم غير ندم
 فأرج بها من صفقة لمبايع وأعظم بها ، أعظم بها ، ثم أعظم
 فقال عمر . يا كثير ، إن الله سائلك عن كل ما قلت ، ثم
 تقدم الأحرص فاستأذنه ، فقال له عمر . قل ، ولا تقل إلا
 حقا فإن الله سائلك ، فأنشده الأحرص . . ثم تقدم إليه نصيب
 فاستأذن في الإنشاد ، فأبى عمر أن يأذن له . وغضب غضبا
 شديدا ، وأمره باللاحاق بدابق .

وقال لهم عمر . ما عندي ما أعطيكم ، فانتظروا حتى
 عطائي ، فأوأسىكم منه ، وانتظروا حتى يخرج لهم ، فأمر لكل
 بمائة وخمسين درهما .

هذا هو موقف عمر من الشعر والشعراء بعد استخلافه ، وهو الذي
 تناقت نفسه إلى الشعر ، وهو صغير ، فأصاب منه ، ثم أصاب فيه ،
 وينسب إليه قوله قبل الخلافة :

إنه الفؤاد من الصبا وعن انقياد للهوى
 ولعمر ربك إن في شيب المفارق والحي

لك واعظا إن كنت تتعظ انماظ أولى النهى
 حتى متى لا ترعوى حتى متى وإلى متى
 ما بعد ما سميت كمالا واستلبت اسم الفتى
 إلى الشباب وأنت إن عجزت رهن للبلى
 وكفى بذلك زاجرا البرء عن فى كفى
 و قوله :

ومن الناس من يعيش شقيا جيفة الليل غافل اليقظة
 فإذا كان ذا حياء ودين راقب الله واتق الحفظه
 إنما الناس راىل ومقيم فالذى سار البقيم عظه
 و قوله :

إني لأمسح من يواصلى فى صفاء ليس بالمذق
 وإذا أخ إلى حال عن خلق داريت منه ذاك بالرفق
 والمرء يصنع نفسه ومضى ما تبلى يرجع إلى العرق

ووقف الشعبى على رأس عمر بن عبد العزيز ، فأطال الوقوف
 فقال له : إنك لواقف يا شعبى ، خذ إليك ، وأنشده :

هب الدنيا تزف زفا زفاف عرائس باكرن قصفا
 وقد ملكتها شرقا وغربا حويت بجمعها برا وطففا
 يحسن بألف ألف كل يوم ويتبع ألفها سبعون ألفا

إذا عاديت قوما في بلاد
أنت ملاقيا لا شك فيه
أتيت على جميع الناس عسفا
وإن عمرت طول الدهر حثفا
فما ترجو بدار قد تراها
بكل سرورها أبدا تكفا

• • •

رحم الله عمر بن عبد العزيز . .

لم تكن أموال الدولة عبثا ولها ، حتى يبعث منها على مواكب
النفاق من الشعراء المرتزقين ، لأنه لم يكن في حاجة إلى المدح والثناء
فعله وإخلاصه للحكم قد منحاه كل ثقة وتقدير من الرعية .



عمر . . والسياسة الخارجية

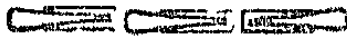
وقد سلك عمر بن عبد العزيز في أمر خلافته من حيث الملاقات الخارجية مسلكاً بدعاً ، لم يسبق إليه ، ولم يأتحق فيه ، وذلك أنه أقفل جميع جيوش المسلمين التي كانت تغزو وراء الحدود ، فأقفل مسلمة بن عبد الملك وكان مرابطاً حول أسوار القسطنطينية ، وأعانته بالقنوقل بأموال بعث بها إليه ، وأقفل الغزاة بما وراء النهر على كره منهم ، كما أقفل من كانوا يغزون بالسند ، ولم يقف عمر في هذا الأمر الخطير عند هذا الحد ، بل اتبع العدول عن سياسة العنف بالدعوة السلمية إلى الإسلام ، ويروي البلاذري أنه لما أقفل الجيوش التي كانت تغزو بما وراء النهر ، كتب إلى ملوك تلك الجهة من الترك ، يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن يملكهم ، ولهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم ؛ وقد كانت بلغتهم سيرته ، فأسلموا ، وتسموا بأسماء العرب ، وكذلك كانت سياسته إزاء البربر في المغرب الذين أشجعوا الجيوش العربية زهاء ثمانين عاماً ، ثم لما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز ، ولي المغرب اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم ، فساد أحسن سيرة ، ودعا البربر إلى الإسلام . وكتب إليهم عمر كتباً يدعوهم إلى ذلك ، فقرأها اسماعيل عليهم في النواحي ، فغلب الإسلام على المغرب .

ومع سماحته ، لم يكن أشد منه حين يسمع أن مسلماً واحداً
مضطهداً في بلاد الشرك ، ولم يكن يستقر به القرار ساعة من زمن ،
حتى يبادر بتخليصه ، لأنه مسئول عن المسلمين أينما وجدوا ، كتب إلى
إمبراطور الروم يدعوهُ إلى الإسلام ، وأرسل له في هذا رسوله إليه
عبد الأعلى بن أبي عمرة . وبينما كان الرسول يدور ، مر بموضع ،
فسمع فيه رجلاً يقرأ القرآن ، ويطحن ، فأتاه الرسول وسلم عليه ، فلم يرد
عليه الرجل السلام مرتين ، ثم سلم عليه الثالثة ، فقال الرجل له . وأنا
بالسلام في هذا البلد ؟ فأعلمه أنه رسول عمر إلى صاحب الروم ، وقال
له : ما شأنك ؟ فقال . لاني أسرت من موضع كذا ، فأتي بي إلى
صاحب الروم ، فعرض على النصرانية . فأبيت ، فقال لي : إن لم تفعل
سمات عينيك . فاخترت ديني على بصرى ، فسمعت عيني ، وصيرني إلى
هذا الموضع ، يرسل إلى كل يوم بحمضة فأطحنها . وبخبرة فأكلها .

ولما سار الرسول إلى عمر بن عبد العزيز وأخبره خبر الرجل ،
دمعت عيناه ، فبلغ ما بين يديه ، ثم أمر فكتب إلى صاحب
الروم . أما بعد فقد بلغني خبر فلان بن فلان ، ووصف له صنيعته ،
وأنا أقسم بالله ، أن لم ترسله إلى لأبعثن إليك من الجنود جنوداً يكون
أولها عندك . وآخرهم عندي . فلما رجع إليه الرسول ، دفع إليه كتاب
عمر بن عبد العزيز ، فلما قرأه ، قال : ما كنا لنحمل الرجل الصالح
على هذا ، بل نبعث إليه به ، وأقام الرسول يفتظر متى يخرج بالرجل .

وأتى الرسول ملك الروم ذات يوم ، فإذا هو قاعد قد نزل عن سريره
لتعرف فيه الكتابة ، وقال للرسول : قد أتاني من بعض أطرافي أن
الرجل قد مات ، فلذلك فعلت ما رأيت ، ثم قال : إن الرجل الصالح
إذا كان بين التوم السوء لم يترك بينهم إلا قليلا حتى يخرج من بين
أظهرهم . فقال الرسول للملك : أأذن لي أن أنصرف - وقد أيسر
الرسول من بعثه الرجل معه - فقال ملك الروم : ما كنا لنجيبه إلى ما أمر
في حياته ، ثم ترجع فيه بعد مماته ، وأرسل معه الرجل .

وعمد عمر بن عبد العزيز في داخل دولته إلى الأحزاب التي ناوت
الأمويين منذ قام ماسكهم ، فترضاها ، وسملها على ما يريد من إثارة السلم
والعافية ، فالشيعة استجلب مودتهم بأن منع سب علي بن أبي طالب على
المنابر ، ومنع الدعاء للخلفاء في الخطبة ، وبأن رد على العلويين « مذكرا ،
التي رأها حقا قديما لهم اغتصب منهم على عهد معاوية ، والخوارج قد
كسح جماحهم من طريق المجادلة بالحسنى والإقناع بالحجة والبرهان ،
وأما الموالي فقد قطع أسباب شكواهم بأن أسقط الجزية ، وبأن فرض
لقاتلتهم عطاء ، وأما العصية القبلية من يمنية ومضرية وربعية ، فقد
هدأ من حديثها بأن ردع الشعراء الذين كانوا يذكرون ناراها ، وبأن
اختار ولاته بالنظر إلى كفائتهم . . لا إلى قبائلهم .



أخلاق .. ومثل

كان عمر بن عبد العزيز فاضل الخلق رقيقه ، اجتمع له من مكارم الأخلاق وشريف الآداب ما لم يعرف لأحد من معاصريه ، وكان أبرز ما فيه رعايته الحق وذوده عنه ، وإقراره العدل بين رعيته ، ورفعته المظالم عن كواهلهم ، كان لا يحابي في الحق قريبا لقربته ، ولا عظيما لعظمته . بل يحق الحق للحق ، ويسوى في عدله بين الجميع ؛ وقد خاصم مسلمة بن عبد الملك عنده أهل دير ؛ فقال له عمر : لا تجلس على الوسائد وخصائك بين يدي ، ولكن وكل بخصومتك من شئت ، وإلا فجلس القوم بين يدي ، فوكل مولى له بخصومته ، ففضى عمر عليه .

ومما يدل على تواضعه ما رواه رجاء بن حيوة ، قال سمعت ليلة عنده ، فاختل السراج فقامت لأصلحه ، فأقسم على لا قدن . وقام هو فأصلحه ، فقلت له : تقوم أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : وما ضرتي ؟ فقامت وأنا عمر ابن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز ، واؤم الرجل أن يستخدم ضيفه .

وناداه رجل ، فقال : « يا خليفة الله في الأرض ، فقال له عمر : هه ، إني لما ولدت اختار لي أهلي اسما ، فسموني عمر ، فلو ناديتني يا عمر أجبك ، فلما كبرت اخترت لنفسى الكفى ، فكأنيت بأبي حفص ، فلو

ناديتنى يا أبا حفص أجبك ، فلما وليتمونى أموركم ، سميتمونى
أمير المؤمنين ، فلو ناديتنى يا أمير المؤمنين أجبك ، وأما خليفة الله فى
الأرض . فإست كذلك . ولكن خلفاء الله فى الأرض داود النبي عليه
السلام ، وشبهه ، قال الله تعالى : « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض » .
وكانت رعاية ابن عبد العزيز لرعيته تتجاوز الأصول إلى فروع
الأمور وأحوال الناس . ومن هذا ما كتبه إلى عامله بمصر : « ألا لا يفرس
على شاطئ النيل شجرة ، فإن ذلك يضر بالنواقي فى جمر اللبان (١) » .
وإن هذه الرعاية تجاوزت الإنسان إلى الحيوان ، فقد كان عمر بن
عبد العزيز ينهى عن ركض الفرس فى غير حق .

وأعان عمر بن عبد العزيز الجوائز لمن يدلّه عن الخير ، وكتب فى
هذا إلى أهل المواسم ، أيما رجل قدم علينا فى رد مظلمة ، أو أمر يصالح
الله به نخاصا أو عاما من أمر الدين ، فله ما بين مائة دينار إلى ثلاثمائة
دينار ، بقدر ما يرى من الحسنة وبعد السفر ، لعل الله يحبى به حقاً ، أو
يسميت به باطلا ، أو يفتح به من وراءه خيراً ، ولولا أنى أطيل عليكم ،
وأطنب ، فإشغلكم ذلك من مناسبتكم لسميت أهوراً من الحق أظهرها
الله . وأهوراً من الباطل أماتها الله ، وكان الله هو المتوحد لكم فى ذلك
لا تجدون غيره ، فإنه لو وكلنى إلى نفسى لكنت كغبرى .

(١) تطلق العامة اللبان على الحبل الذى نشد به السفينة عند سكون الريح »

وعريه « القلس » بالفتح .

و"حكيم" رجل في مسجد رسول الله عليه السلام ، وأبو بكر بن عمر
في صلاته - فقطع عابهم الصلاة وشهر السيف ؛ فكتب أبو بكر إلى عمر ،
وأتى بكتابه عمر ، فقرأه على الرجل ، فشتهم عير والكتاب ومن جاء به ،
فهم أبو بكر يضرب عنقه ، ثم واجع عمر . وأخبره أنه شتمه ، وأنه
هم يقتله ، فكتب إليه عمر : لو قتلتك لقتلتك به ، فإنه لا يقتل أحد بشتم
أحد ، إلا أن يشتم النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا أتاك كتابي فاحبس
عن المسلمين شره ، وادعه إلى التوبة في كل هلال ، فإذا تاب نخل سيده ،
ولم يزل الرجل في الحبس حتى مات عمر ، فضرب يزيد بن عبد الملك عنقه .

واشتهى عمر بن عبد العزيز الحج ، فسأل مولاة مزاحما ، هل عزل
من المال شيء ؟ فقال مزاحم : بضعة عشر دينارا ، فقال عمر : وما تقع
منى ؟ ثم مكث مزاحم قليلا ، وقال : يا أمير المؤمنين ، تجهز ، فقد
جاءنا مال سبعة عشر ألف دينار من بعض مال بني مروان . قال عمر :
اجعلها في بيت المال ، فإن تسكن حلالا ، فقد أخذنا منها ما يكفيننا ،
وإن تسكن حراما ، فكفنا ما أصابنا منها ؛ ولما رأى عمر ثقل ذلك
على مزاحم قال له : ويحك يا مزاحم ، لا يكثرن عليك شيء صنعته الله
فإن لي نفسا تواقه ، لم تنق إلى منزلة فنالتها ، إلا ناقت إلى ما هي أرفع
منها ، حتى بلغت اليوم المنزلة التي ليس بعدها منزلة . وإنما اليوم قد ناقت
إلى الجنة .

ولقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس جميعا إلا نفسه وأهله ، فلم

يعرف التاريخ ولي قوم أعف عن ما لهم منه ، ولم ير الناس أهل بيت
أصبر على الطعام الخشن والثوب المرقوع والبيت المتهدم منه ومن أهل
بيته ، وقد كان قبل أن يلى الخلافة مترفا ناعما فى ملبسه ومأكله ومناجعه ،
فلما أن وليها جعل شعاره الزهد فى الدنيا والإعراض عن متها الزائلة ،
وقد قال مالك بن دينار : الناس يقولون : « مالك بن دينار زاهد »
إنما لزاهد عمر بن عبد العزيز ، أتته الدنيا فتركها .

وقال له بعض إخوته : يا أمير المؤمنين ، لو ركبت فترجعت ! .
فقال عمر : كيف لى بعمل ذلك اليوم ؟ قال : يكون فى اليوم الذى يليه .
فقال عمر : لقد فدحنى عمل يوم واحد ، فكيف إذا اجتمع على عمل
يومين ؟ .

وكان يقول لأصحابه : « إياكم والمزاح ، فإنه يورث الضغينة ،
وينبت الغل »

وقال ابن عياش : كان لعمر مرقأتان يرقى من صحن داره إلى مقر
بيته عليهما ، فأنقذت إحدى المرقأتين ، فأتاها رجل من أهل بيته ،
فأصاحبها ، كراهية أن يشق على عمر ، فلما جاء عمر ، ونظر إليها ، قال :
من صنع هذا ؟ قالوا : فلان . قال : على به . فأما جاء الرجل ، قال له
عمر : ويحك يا فلان ، أنفست على عمر أن يخرج من الدنيا ، ولم يضع
لبنة على لبنة ؟ والله لو لا يكون فساد بعد إصلاح أغيرتها إلى ما كانت عليه .
وروى مزاحم أنه قال لعمر بن عبد العزيز : إني أرى فى أهلك

خلالاً ، فقال يا مزاحم ، أما يكفيمهم ، أعطيهم ما يصيدون من المقاسم مع المسلمين من فيئتهم مع مال عمر ، فقلت له : وأين يقع ذلك منهم مع ما يموتون ومع ضيافتهم ، وكسوتهم نساءهم ، وأين يقع ذلك ، قد والله خشيت أن تصيبهم محضمة . فقال عمر « إن لي نفساً تواقه ، فقد رأيتني وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ، ثم تافت نفسي إلى العلم بالعربية والشعر ، فأصبت منه حاجتي وما كنت أريد ، ثم تافت نفسي إلى السلطان فاستعملت على المدينة ، ثم تافت نفسي وأنا في السلطان إلى اللبس والعيش والطيب فما علمت أن أحداً من أهل بيتي ولا غيرهم كان في مثل ما كنت فيه ، ثم تافت نفسي إلى الآخرة والعمل بالعدل ، فأنا أرجو ما تافت نفسي إليه من أمر آخرتي ، فليست بالذي أهلك آخرتي بديانهم . »

• أما حب عمر للخير ، ورجوعه إلى الحق ، فقد حدث عامله بالمدينة قال : ما قسم علينا يريد لعمر بن عبد العزيز إلا بإحياء سنة أو قسم مال أو أمر فيه خير ، وقال ابن عبد العزيز : « ما من طينة أهون على فتى ، ولا من كتاب أيسر على ردا ، من كتاب قضيت فيه ، ثم أبصرت أن الحق في غيره ففتتها . وكان من خفاق عمر في مله دره الحدود ما استطاع في كل شبهة ، وكثيراً ما كان يقول : « إذا أخطأ الوالي في العفو خير من أن يتعدى في العقوبة . »

وكانت لفاطمة ابنة عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز جارية ذات جمال فائق ، وكان رحمه الله معجباً بها قبل أن تنفض إليه

الخلافة ، فطلبها منها ، وحرص . فأبى دفعها اليه وغارت من ذلك ، فلم تزل الجارية في نفس عمر ، فلما استخلف أمرت فاطمة بالجارية فأصلحت ، ثم حليت ، فكانت حديثاً في حسننها وجمالها ، وأتت فاطمة عمر وقالت : يا أمير المؤمنين ، إنك كنت معجباً بفلانة جاريتي ، وسألتنيها ، فأبى ذلك عليك ، وإن نفسي طابت لك بها اليوم ، فدو نكحها . فاستبان على وجه عمر الفرح ، وقال لها . إبعثي بها إلى ، ففعلت .

ولما دخلت الجارية عليه نظر إلى شيء أعجبه ، فزاد بها عجباً ، وقال لها . إلق ثوبك . فلما هممت أن تفعل ، قال عمر على رسلك ، أقعدى . . أخبريني لمن كنت ومن أين أنت لفاطمة .

فأخبرته الجارية أمرها ، أنها من البربر ، فأخذني موسى بن نصير حين سار إلى إفريقية ، وبعث بي إلى عبد الملك ، فوهبني عبد الملك لفاطمة ، فأرسلت بي إليك . فقال لها عمر : كدنا والله أن نفتضح . . وجهازها وأرسل بها إلى أهلها .

هذه قدرة عمر بن عبد العزيز في قوته على نفسه وعلى شهواتها .

ودس عليه « أبو النضر » بعض أهله . ليقول له : إن فيك كبراً ، وأنت تكبر إشارة إلى حجب أهله عن مجلسه ، فقال له عمر : لبتس ما ظننت ، إن كنت تراني أتوقى الدينار والدرهم مراقبة لله وانطلق إلى

أعظم الذنوب فأرتكبه . الكبرياء ، إنما هي رداء الرحمن ، فأنازعها فيها ،
واسكني كنت غلاما بين ظهري قومي يدخلون على بغير إذن ، ويتواطأون
فرشي ، ويتناولون مني ما يتناول القوم من أخيهم الذي لا سلطان له
عليهم ؛ فلما أن ولّيت خربت نفسي في أن أمكنهم مني ، حالي إلى كنت
عليها ، وأعاقبهم فيما خالف الحق ، أو أتمنع عنهم في بابي ووجهي
ليسكنفوا عن أنفسهم ، وعن الذي أحذر عليهم ، لو كنت جراتهم على
نفسى من العقوبة والأدب ، فهو الذى دعانى إلى هذا .

وبلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنا له اشترى فصا بألف درهم فتختم به ؛
فكتب إليه عمر . غزيمة منى عليك ، لما بعث الفص الذى اشترىته بألف
درهم ، وتصدقت بثمنه ، واشتريت فصا بدرهم ، نقشت عليه ،
رحم الله امرأ عرف قدره .

وأطرى رجل عمر بن عبد العزيز فى وجهه ، فقال : يا هذا لو عرفت
من نفسى ما عرفت منها ما نظرت فى وجهى . .

